نقيل الأديب

للأستاذ محمد يوسف النشاشيبي

٢٨٣ — الله والنبي والعيد العربي

في رسالة لأبي الفضل احمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان) [١] :

إن عيد الوَقود لَعيدُ إفك، وإن شعارَ النار لشعار شرك. وما أنزل الله بالسذق [٢] سلطاناً، ولا شرّف نيروزاً ولا مِهرجاناً [٣]. وإنما جعل الله (تعالى) النار تذكرة ومتاعاً [٤]، ولم يضرب لها عيداً، ولم يجعلنا لها عبيداً. أللهُ والنبيّ، والعيد العربيّ، والتكبير الجهير، وتلك الجماهير، والملائكة بعد ذلك ظهير، والرحمةُ صوباً [٥] وسبّا، والبركات فيضاً وفضّا [٦]، والموسم الطاهر من لغو الحديث. هذا هو العيد، وذلك هو الضلال البعيد ...

٢٨٤ — ... والوجوه قباح

الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن :

لايوحشنّك أنهم ما ارتاحو ... مما جلاه عليهم المُداحُ
فهمُ كقوم عُلّقت بإزائهم ... بيضُ المرائي والوجوه قباحُ [٧]

(١) كتبها إلى الشيخ الرئيس أبي عامر في معنى السذق

(٢) السذق : ليلة الوقود يقال فارسيته سذه . في نهاية الأرب : وهم يوقدون النار بسائر الأدهان ، ويزيدون في الولوع بها حتى إنهم يلقون فيها سائر الحيوانات

(٣) في (الألفاظ الفارسية المعربة) : عيد الفرس من (مهر) المحبة و (كان) — فوق الكاف ثلاث نقط — المتصلة . وفي (المصباح) معناها محبة الروح . في (نهاية الأرب) وقوعه في (٢٦) من تشرين الأول من شهور السريان . وكان مذهب الفرس فيه أن يدهن ملوكهم بدهن البان وكذلك عوامهم الخ

(٤) في (الكتاب) الكريم : « أفرأيتم النار التي تورون ؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين » أقوي : اقتفر

(٥) مصدر محذوف الفعل وجوبا وجملة المحذوف خبر المبتدأ (الرحمة)

(٦) من فض الماء : سال : وفض لازم متعد

(٧) قال صاحب دمية القصر : هذا معنى لم يأت بمثله فكر ، وعندي — والضمان علي — أنه بكر . (المرائي) جمع المرآة قالوا : الكثير للجمع مرايا . والأزهري يقول : من حول الهمزة قال : مرايا . وقد نقد الحريري هذا الجمع ، ورد الخفاجي قوله . يقال : ترأى في المرآة وترأى (بالتشديد) وفي الحديث : لا يترأى أحدكم في الماء وزنه يتفعل حكاه سيبويه

٢٨٥ — اودد تستوي

سمع بعض الحكماء رجلاً يقول :

قلب الله الدنيا !

فقال : إذن تستوي لأنها مقلوبة

٢٨٦ — رسالة ...

قال صاحب البدائع : خرج المعتصم بن صُمادح صاحب المَرِيّة يوماً إلى بعض متنزهاته فحلّ بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج ، وتنفست عن مسكها الأريج ، وماست معاطف [١] أغصانها ، وتكلّلت بلؤلؤ الطلّ أجياد قضبانها . فتشوّف إلى الوزير أبي طالب بن غانم أحد كبراء دولته فكتب إليه بديهاً بورقة كُرُنب [٢] بعود من شجرة :

أقبِلْ أبا طالب إلينا ... واسقط سقوط الندى علينا [٣]

٢٨٧ — لئيم العطاس

في (كامل) المبرد : يروى أن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس — أتته وفود من الروم ، وقام السّماطان [٤] فأتى برجل منهم ، وعطس أحد مَن في السماطين ، فأخفى عطسته فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوفد : هلاّ — إذ كنت لئيم العطاس [٥] — أتبعت عطستك صيحة حتى تخلع بها قلب العِلج [٦]

(١) المعاطف : الأردية ، العطف : الرداء

(٢) الكرنب : بضم الكاف والراء وفتحهما السلق أو نوع منه أحلى وأغض من القنبيط

(٣) ولوضاح اليمن :

فاسقط علينا كسقوط الندى ... ليلة لا ناه ولا زاجر

وفي قلائد العقيان : أن المتوكل على الله (صاحب بطليوس) مر في بعض أيامه بروض مفتر الباسم ، معطر الرياح النواسم ، وأزاهيره تتيه على الكواكب ، وتختال في خلع الغمائم السواكب . فلما حصل من أنسه في وسط المدى ، عمد إلى ورقة كرنب قد بللها الندى . وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم : أقبل أبا طالب ، البيت وبعده

فنحن عقد بغير وسطى ... ما لم تكن حاضراً لدينا

(٤) قام القوم حوله سماطين أي صفين وكل صف من الرجال سماط (اللسان)

(٥) في رواية للجاحظ : هلا إذ كنت ضيق المنخر ، كز الخيشوم

(٦) العلج الرجل من كفار العجم ، والقوى الضخم منهم جمعه علوج وأعلاج (التاج) وهناك جمع آخر . ولمحمد بن ذؤيب في الرشيد :

جهير الكلام ، جهير العطاس ... جهير الرواء ، جهير النغم

وبخطو (على الأين) خطو الظليم ... ويعلو الرجال بخلق عمم

على الأين : مع الاعياء . عمم : جسيم

٢٨٨ — سرقت حمرة الخدود الملاح

ابن الزقاق الأندلسي :

ورياض من الشقائق أضحت ... يتهادى بهـــا نسيم الرياح
زرتهـــا والغمام يلطم منها ... زهرات تفوق لون الراح
قلت : ما ذنبها ؟ فقال بجيباً : ... سرقت حمرة خدود الملاح !

٢٨٩ — ليس الهوى بالاختيار

فى (نهاية الأرب) : قال رجل من أهل المدينة كان أديباً ظريفاً طلاباً للأدب والملح : كنت يوماً فى مجلس رجل من قريش ، ومعنا قينة ظريفة حسنة الصورة ، ومعنا فتى من أقبح ما رأته العين ، والقينة مقبلة عليه بحديثها وغنائها . فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتى من أحسن الناس وجهاً فأقبل علىّ صاحب البيت فقال : إن فى أمر هذين لعجباً ، قلت : وما ذاك ؟ قال : هذه الجارية تحب هذا (يعنى القبيح الوجه) وليس لها فى قلبه محبة ، وهذا الحسن الوجه يجدها وليس له فى قلبها محبة . قال الدنى : فقلت لها : تختارين هذا وهو أقبح من ذنوب المصرين ، على هذا الذى هو أحسن من توبة التائبين ! فقالت لى : ليس الهوي بالاختيار ، ثم أنشأت تغنى وتقول :

فلم تلم المحبّ على هواه ... فكلٌّ مثيم كلفٍ عميدِ [1]
يظنّ حبيبَه حسناً جميلاً ... وإن كان الحبيب من القرود !

٢٩٠ — رحمة الله عليه

(فى سيرة عمر بن عبد العزيز) لابن الجوزى : قال ابراهيم ابن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى : حدثنى أبى عن جدى قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة [2] فأقرّها الوليد وسليمان حتى إذا استُخلف عمر (رحمه الله) نزعها . فقال له هشام : أعدّ مقالتك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر (رحمه الله) نزعها . فقال : (والله) إن فيك لعجبا ! إنك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها فلا ترحم عليه [1] ، وإنا قد أمضينا ماصنع عمر [2] رحمة الله عليه ...

٢٩١ — الورد والياسمين

قال هبة الله محمد النصيبي : كنت فى زمن الربيع والورد في دارى بنصيبين [3] ، وقد أحضر من بستانى من الورد والياسمين شيء كثير ، وعملت — على سبيل الولع — دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على المهذب والحسن ابن البرقميدى الشاعران فقلت لهما : اعملا فى هاتين الدائرتين . ففكرا ساعة ثم قال المهذب :

ياحسنها دائرةً ... من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها ... فى حلة من شفق
كعاشق وحبّه ... تعانقا بالحدق [4]
فاحمرّ ذا من خجل ... واصفر ذا من فرق

فقلت للحسن : هات ، فقال : سبقنى المهذب إلى مالمحته فى هذا المعنى وهو قولى :

يا حسنها دائرة ... من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها ... فى حلة من خجل
كعاشق وحبه ... تعانقا بالقبل
فاحمر ذا من خجل ... واصفر ذا من وجل

فعجبت من اتفاقهما في سرعة الاتحاد ، والمبادرة إلى حكاية الحال !

٢٩٢ — أخاف أن أموت فى أوله

قيل لخالد بن صفوان : مالك لاتنفق ؟ فإن مالك عريض
قال : الدهر أعرض منه
قيل : كأنك تؤمل أن تعيش الدهر كله
قال : لا ، ولكن أخاف ألاّ أموت فى أوله

---

(١) خبر المبتدأ (كل) فى أول البيت الثانى : يظن
(٢) أقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج والاقطاع يكون تمليكا وغير تمليك ، والقطائع إنما تجوز فى عفو البلاد التى لا ملك لأحد فيها ولا عمارة (اللسان)

(١) ترحم عليه ورحم عليه ترحيا سواء . والصاغانى يقول : الأولى لحن ، والمجد فى القاموس يقول رحم هى الفصحى ...
(٢) من قضائه العدل ما ذكره زياد بن أنعم قال : (أتى إليه بسارق فشكا إليه الحاجة فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم) فليفكر فى حكومة عمر المفكرون
(٣) من العرب من يجعلها بمنزلة الجمع فيعربها فى الرفع بالواو الخ والأكثر يجعلونها بمنزلة ما لا ينصرف والنسبة إليها نصيبى ونصيبينى ، مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام (ياقوت)
(٤) (الحب) بكسر الحاء ، هنا : المحبوب